الثورة السبت 25 ذو الحجة 1433 هـ- 10 نوفمبر 2012م العدد (17524)

■ تفاصيل تراثية متفردة

■ بنت الصحن دليل مهارة

■ روعة الازياء القديمة

دلالات جميلة اندثرت

عادات ما قبل الستينيات .. ترابط اجتماعي لأسرة كبيرة

(الحلبة) قصة تاريخ وخبرات متراكمة

بكبرياء، جريح يلملم تراثنا أثوابه المنسوجة بخيوط المجد والجمال حين تصفعه أنامل الخيبة من جيل انسلخ عن حضارة طالما فتنت العاشقين .. وألهمت الشعراء .. وأروت الظمأى .. وشدت الأبصار.قرأنا حين كنا صغارا أن من لا تاريخ له .. جسد بلا وجه!! فرمينا ما تعلمناه وراء ظهورنا، ورحنا نتسول أقنعة متفسخة لحضارة لا تشبه ملامحنا، لا تنطبق على جيناتنا، فصرنا كما ذلك (الغراب)!!، لا نحن ركبنا موجة العصر وخضنا غمارها ولا حافظنا على هويتنا. ومر عام إثر عام حتى نبتت من بين ركامنا أمة الرزاق جحاف، رئيس البيت الصنعاني، لتشعل حبرا في صقيع تضجرنا، فصقلت تفاصيل ماضينا، ووثقت صور الحياة الاجتماعية لفترة ما قبل الستينات بروح تنضح بنفحات الدهشة!!

تراث/سامية صالح
samia5072@gmail.com

بنت الصحن .. دليل قبول العريس ومهارة العروس

● بما أن تراثنا قبلة السياح كيف ترين ارتباط أجيالنا الجديدة بهذه الحضارة؟

– للأسف الجيل الجديد خارج الحضارة والتاريخ لا يعلمون كيف كان يعيش آباؤهم وأجدادهم، ولا يقدرون الإرث التاريخي الذي خلفوه. وكم كانت دهشة إحدى صديقاتي التونسيات والتي لديها دكتوراه في تصميم الأزياء وانبهارها بالأزياء النسائية القديمة التي وثقتها من كل محافظة يمنية ومدى التنوع والكم الهائل من الأزياء، والزخرفة في تصاميمها والإبهار البصري من مشغولات ومنسوجات وأزياء أعراس ومناسبات في ذلك الوقت. فقالت لي: ما تلبس العروس عندكم؟ قلت لها: فستان أبيض. فردت بانفعال: هل أنتم مجانين أيعقل أن يتوفر لديكم هذا التراث الجميل ثم تلبس العروس في أهم ليلة عندها فستانا لا تنتمي له ولا ينتمي لها من حضارة أخرى .. فكان كلامها لامس الجرح فقلت لها: هذه الأزياء تعتبرها النساء موضة قديمة جدا وهن يبحثن عن الحديث والجديد. فردت قائلة: لماذا لا تعملون مثلنا في دول المغرب طورنا الأزياء القديمة ونوعية تصاميمها وقدمناها بشكل رائع وفي تقاليدنا ومن العيب أن تزف الفتاة عندنا بفستان أبيض فالعرف الاجتماعي يفرض على العروس ارتداء الزي التقليدي وبعد التطوير صارت (الجلابية المغربية) ماركة عالمية وموضة تتسابق لشرائها جميع طبقات المجتمع في أي بلد.

ونحن للأسف من يدعي أنه يطور التراث والزي اليمني يشوه معالمه ويطمس هويته بالأشكال الدخيلة على بلادنا بالزخارف الهندية وغيرها. وهذه إساءة للتراث لا تغتفر ولو سكتنا عن هذا الأمر سنرى أجيالنا لا علاقة لها ببتراثها وتنتمي لتراث الشعوب الأخرى.

الشرشف المكسي

● كيف كان زي خروج المرأة من بيتها في فترة الستينيات وما قبلها؟

– حصل تقارب في الستينيات بيننا وبين مصر بفعل الثورة وتأثرت الأزياء النسائية بهذا التقارب فمثلا كانت النساء يرتدين (الشرشف) عندما يخرجن من المنزل فتغير تصميمه من الشرشف العثماني، والذي كان الجناح مرتبطا مع الفوطة، فأصبح قطعتين منفصلتين عن بعض. وقصر الجناح الذي كان يغطي اليد كاملة وصار يحاذي المرفق أو يزيد بقليل. وكذلك قصر الشرشف وصارت سيقان المرأة تظهر وهي ترتدي الشرابات الجسمية. وهذا التغيير والتأثر باللباس المصري لم يرق لكثير من الناس. ومع بداية حركة الإصلاح التي كان يقودها أحمد الحجري الذي تولى وزارة الخارجية حينها كان يعظ وينصح النساء بألا ينجرفن للموضة التي لا تمت للدين بصلة. ووصل الأمر بالبعض أن يخوفوا النساء اللواتي يرتدين الشراشف القصيرة برميهن بمادة (الأسيد). ثم بعد ذلك جاءت بعض الأسر اليمنية من بيروت وجلبت معها (الشرشف المكسي) الطويل الذي يسحب في الأرض، وكان عرض الفوطة وقتها عشرة أمتار تطوى بتكسرات متداخلة ملفوفة تثبت بخطاف وظهرت في تلك الفترة القفازات التي تلبس تحت الفساتين وظهر الفستان القصير(المكشكش المزموم) و(الشرابات الجسمية) و (الجزمة السكربيل)الكعب و(اللثمة الملس) الخفيفة التي تظهر ملامح الوجه.

السلتة والتسمية العثمانية

●كيف كانت نوعية الأكل في الستينات؟

– كان أهل صنعاء يعتمدون على الزراعة في مصدر عيشهم فكان اغلب طعامهم يحتوي على الحبوب و إفطارهم الرئيسي هو البرعي ولا يخلو إفطار في أي بيت منه حتى أن الفول وقتها لم يلق نفس المكانة التي يحتلها البرعي وقد بحثت عن سبب تسميته بهذا الاسم فقيل لي سمي كذلك «لبراعة الطاهي في تحديد مقاديره التي يجب أن تضبط بدقه شديدة لنحصل على برعي ممتاز، فالاسم أتى من البراعة».

ويؤكل في الإفطار والعشاء. ويؤكل أيضا (المطيط) من لبن الأبقار أو الماعز المغلي مع الزعتر والثوم ،ويقدم في وجبة الإفطار، النشوف، وفتوت القرم المضاف إليه الحليب والسمن. اما الزلابيا فكان يؤكل على عسل وأحيانا على برعي. وهناك أيضا «اليورت» وهو لبن مصفى من الماء وجميع هذه الوجبات صحية ومغذية.

القشمي.. فاكهة الغداء.

وفي الغداء تقدم اللحمة في الأيام العادية مسلوقة على ملح وبهارات ويصل و يسمونها لحمة المرق. وفي المناسبات تؤكل اللحمة بطريقة(الحنيذ) أو (الحشوش) والطريقة الاخيرة قد اندثرت، ولم يعد منها إلا الاسم فقد كانوا يعتمدون على سمنة الكبش ويعدون له في بيوتهم الصنعانية مكانا ضيقا لتربيته يسمى «الكرس» وكان يصمم بشكل ضيق حتى لا يسمح للخروف أن يتحرك كثيرا ويحرق الدهون.

وتضم وجبة الغداء إما (فتوت)أو (هريش) على مرق وسمن و(شفوت) مكون من لحوح ولبن (محوج) بالثوم والنعناع الاخضر، ويتصدر المائدة الصنعانية (القشمي).وسميت الأراضي المزروعة به بالمقشامة. ولم يكن أهل صنعاء يعرفون غيره ثم جاء بعدها الكراث والجرجير والخس والبقدونس.

■ امة الرزاق جحاف

حلبة صنعانية

وحين نتحدث عن الحلبة لا بد أن نذكر فائدتها في تدفئة الجسم لأنها وجبة دافئة وتمنح الجسم حرارة، وهي لم تظهر في تهامة ذلك الوقت لأن تلك المنطقة حارة والجسم يفرزها مع العرق. وتساءلت كثيرا لماذا نحن الوحيدين في المنطقة العربية وربما العالم الذين نأكلها بينما الآخرون يتناولونها كمشروب بارد أو ساخن. وهذا يعطينا دلالة أن الحلبة في تاريخنا منذ آلاف السنين، وهذه الخبرة لدينا التي تراكمت منذ زمن طويل بأن نطحنها ونضيف لها «عود الحلبة» و أتعجب كم عودا جربنا في الحلبة لنحصل على هذه النتيجة وكيف اهتدينا الى ان نطحن الحلبة ثم نبلها بالماء وانا اذا حركنا الحلبة بسرعة تزيد كثافتها وتصبح كالكريمة وكم وقتا اخذت معنا هذه التجارب لتصير الحلبة بهذا الطعم الشهي الذي يجذب السياح العرب والأجانب حتى أن هذا التفكير دفعني يوما لأن اسأل الدكتور يوسف محمد عبدالله فقلت له: هل يوجد ذكر الحلبة في النقوش اليمنية القديمة فوعدني أن يبحث عن ذلك.

السلتة والتسمية العثمانية

وقد ظهرت شائعات أن الحلبة تركية. وهذا غير صحيح لأن أهل صنعاء قديما كانوا يأكلونها على سمن. أي يوضع القلى على النار ويضاف إليه الماء والسمن وقليل من الملح ثم الحلبة. وكانوا يسمونها «حلبة بيضاء»، ثم بعدها بفترة استبدلوا الماء بالمرق واضافوا للحلبة الخضرة، وإلى ذلك الوقت كانت تسمى حلبة. وبعد مجيء الاتراك اضافوا لها بقايا الأكل من خضار ودقة فأسموها سلتة. ومعناها في لغتهم «بقايا الأكل». ونحن إلى اليوم إذا تبقى شيء في الصحن نقول «اسلت الصحن» أي كل بقايا الصحن، ولم نأخذ منهم إلا الاسم فقط «السلتة». والآن حين نقول حلبة، أي أنها لا زالت في «الطاسة» لكن عندما نقول سلتة، أي أنها اصبحت في المقلى مع توابعها وجاهزة للأكل.

بنت الصحن

وبالنسبة (للطبيخ) المكون من باميا وبطاط لم يعرف إلا مع مجيء الاتراك. أما بالنسبة لطبق (بنت الصحن) فالاسم الحقيقي «البنت اللي في الصحن» ولدى هذا الطبق دلالات رمزية فقد كانت تؤكل في المناسبات السعيدة. وسبب التسمية أنه حين يتقدم شاب لخطبة فتاة ويأكل من طعامها فيقول لوالدها أو أخيها كيف البنت يقصد الفتاة فيرد عليه «البنت في الصحن» أي على قدر مهارتها في اعداد هذا الطبق تكون مهارتها في اعداد الطعام. وهذا الطبق يظهر مدى الترابط الاجتماعي بين الجيران الذين يتعاونون على إعداده لبيت العرس فنساء ذلك البيت يعملن عشرين صحنا والمنزل المجاور عشرة صحون وهكذا، وكلهن يتفنن في إعداده، ويكتبن على وجه الصحن بالسمسم والحبة السوداء(بسم الله، كلوا هنيئا، ألف مبروك) ويضفرن أطرافه بطريقة معينة ويعكس طبق بنت الصحن كرم اليمنيين، فحين يدخل الصحن يدخل معه العسل، فيسكب رب البيت العسل ويظل يسكب ولا يرفع يده حتى يقول له الضيف أو العريس "كفى أكرمك الله".

الشاي و ...!!

● ماذا كان مشروبهم المفضل؟

– في ما يخص المشروبات الساخنة لأهل صنعاء احتلت القهوة مكانة كبيرة في حياتهم فهم يشربونه في جميع وجبات الطعام ويقدمونه لضيوفهم وكانوا يشربون مغلي قشور البن. وللعلم نحن الوحيدين في العالم الذي نشرب قهوة القشر، والسبب في ذلك اقتصادي بحت. فكانوا يبيعون بذور البن اليمني ويحتفظون بقشوره. وعندما دخل الشاي في الخمسينات ثار المجتمع اليمني ضد هذه السلعة الوافدة الدخيلة على أرضهم وانحازوا إلى البن وقهوة القشر واطلقوا إشاعات تلك الايام أن الشاي لا يشربه الا الصعاليك، فكان الآباء يتضايقون ويمنعون ابناءهم من شربه ويصفون من يتناوله:بأنه قليل أدب.

× لماذا كان العريس يتغدى عند أهل عروسه ليلة الدخلة؟

– كان العريس يتغدى مع أهل عروسته يوم الحفلة ويأكل مع والدها واخوتها عيشاً وملحاً لأنها في الليل ستصبح زوجته. وكان هذا العرف سائدا وقتها ويعطي دلالة رمزية ومعنوية. فحين يطأ فراشهم ويتناول طعامهم يصبح من افراد العائلة، وبالتالي حين يذهب ليسلم على أهل زوجته يوم الصباح يذهب لوحده ومن المعيب أن تذهب زوجته معه لأنه صار ينتمي لهذه الاسرة ومن حقه أن يأتي في أي وقت.

شمع النحل

● على ذكر العرس كيف كانت العروس وقتها تتحنى وتنتقش؟

– تستخدم المنقشة شمع عسل النحل فتذيبه وتسكبه على يد العروس والتي عليها أن تتحمل الألم بسبب حرارة الشمع , وتتفنن المنقشة بعمل زخارف في الشمع الذائب ثم تضع الحناً في الفراغات. وبعد أن ينشف تتلخص من الحنا، وتضع (الشوذر) والذي يعطي لونا أسود مائلا إلى الأخضر الغامق. أما النقش فكل منطقة تعمله بطريقة مختلفة، وهو مستخرج من نبات العفص يحرق بطريقة معينة حتى يظهر الصدى ثم يزخرف بأشكال بديعة تظهر حب اليمنيات للزخرفة وكل نقشة تدل على البيئة وطبيعة الحياة هناك. ففي صنعاء كونها منطقة زراعية ومرتفعات تجد النقوش دقيقة وعلى شكل وريقات لأشجار، أما في منطقة تهامة مثلا فنقشهم التقليدي خطوط طويلة على طول الذراع منها ما هو خط متواصل ومنها ما هو متقطع.

رأس تمثال

● ما حقيقة أن التاج اليمني الذي كانت تلبسه العروس تركي الأصل؟

– أولا مع أن اسمه (التاج اليمني) الا أن الصنعانيات هن فقط من يضعنه فوق رؤوسهن ليلة العرس وقد دخلنا في خلاف اصله. فهناك من يقول انه تركي لكن لم اجد له وجودا في مسلسلاتهم القديمة. صحيح أن عندهم الطرحة لكن الرأس الواقف المزخرف بالذهب لا يوجد الا في صنعاء وقد حصلت على صورة لرأس تمثال يرتدي تاجا يمنيا والشعر معمول بنفس طريقة العروس الصنعانية.وقد اخذتها من المصور عبد الرحمن الغابري تثبت انها من تراثنا القديم

● ما كانت مكانة خال العروس عند المجتمع اليمني في ذلك الوقت؟

– كان للخال مكانة كبيرة لدى أهل العروس وكذلك العريس، فكانوا يشرطون له حق الخال ويرضونه. ولن يتم العرس الا اذا جاء وسلم على العروس والخال هنا ينوب عن الأم التي لا تقدر أن تحضر الجلسات الرجالية التي تتم فيها الملكة فيحضر بدلا عن الأم ورأيه مسموع ويؤخذ به. ويقدم للعروس هدية ويشتري لها ذهباً ب(حق الخال) ويضعه على رأسها من فوق الشرشف ويحط شاله فوق كتفها دلالة على انها تحت حمايته ويوصلها لبيت زوجها ولاتذهب معه الأم أو الاب وهذه العادة الجميلة اندثرت للأسف.

حق الفتاشة

انتهى لقائي مع هذه المرأة الرائعة بروعة حبها للتراث واستوقفني كتاب رحلة في أرض سبأ للكاتب د.مصطفى محمود سليمان، مصري الجنسية، والذي عمل رئيسا لقسم الجيولوجيا بجامعة صنعاء، وكان من المنصفين في حديثه عن اليمن وحبه العظيم لها، يصف فيه بعض مظاهر العرس الصنعاني، فقبل أسبوع العرس تقوم أسرة (الحريو) العريس بزيارة أهل(الحريوة) العروس ويصطحبون معهم المزينة ويقدمون للعروس مبلغا من المال وحذاء ولوازم الحمام الذي سوف تذهب اليه هي وقريباتها اللاتي في مثل سنها ثم تبدأ أيام العرس بما يسمى (الذبال الكذبي) ويكون يوم الاثنين في الغالب وهو خاص بأسرة العروس فقط، ترتدي فيه ملابس جديدة وعقدا من المرجان مزينا بالفضة ويوضع فيه أغصان من (الشذاب) وهو نبات عطري يتفاءل به اليمنيون ويستخدمونه في مناسبات الزواج، واثناء الاحتفال بالمولود الجديد.

وفي يوم الذبال الكذبي (الذبال هو نوع من الشمعدان يضعونه في المنزل من الجص ويوضع في اناء ويثبت فيه عدد من الشموع الملونة حولها بيض مزخرف...) تكون العروس ملثمة محجبة وتضع فوق رأسها قناعا مطرزا متعدد الألوان مثبتا به عيدان الشذاب وتجلس العروس وبجانبها المصحف الشريف ومزهريات شموع كبيرة منقوشة بخضاب اسود وبيض ملون وبسباس والحبة السوداء.

اما المزهريات فهي اوان نحاسية مملوءة بأغصان الشذاب تتوسطها شمعة مشتعلة.. ويتحمل العريس وأهله كل تكاليف الزواج من مهر وتأثيث وولائم وقات بالإضافة إلى مبالغ اخرى يدفعها العريس كهدية لأم العروس وأهلها كحق الأم وحق الخال وحق الجدة وحق الكسوة. بالاضافة إلى مبلغ يدفعه العريس إلى عروسه عندما تزف اليه وذلك مقابل أن ترفع الزوجة الطرحة من فوق وجهها ليراها، ويسمى هذا المبلغ النقدي (حق الفتاشة).

■ التاج اليمني القديم

■ الشاي واشاعات مغرضة
■ الحناء بشمع النحل .. الألم اللذيذ